لماذا تعدد الزوجات للرجال دون النساء ؟

رحمة الله بعباده

حصتنا اليوم عن رحمة الله بعباده . الرحمة من معانيها الشفقة ، والمغفرة اختارها اله تعالى صفة لذاته ، وتعني في حقه تعالى إيصال الخير والإحسان للخلق فسمي بالرحمن واختارها صفة لأفعاله فسمي الرحيم لذا كان من الدعاء الماثور : يا رحمن الدنيا ويا رحيم الآخرة . والرحمن تعني : رحمة الله بخلقه : مؤمنين وكافرين ، والرحيم تعني : رحمة الله بالمؤمنين في الآخرة خاصة ، وقد طلب الحق عباده بإشاعة الرحمة فيما بينهم وجعلها مقصداً من مقاصد الشريعة ، ونحن في صلواتنا وفي فاتحة الكتاب ومع البسملة نردد – بسم الله الرحمن الرحيم – نكررها مرات ومرات لتترسخ في النفوس ، وقد ثبت أن القلوب العامرة بالرحمة والشفقة تثمر السكينة والطمأنينة وأن المجتمع معها يبنى على التآلف والتعاطف ، بينما القلوب الغليظة يتمزق معها المجتمع وتتزلزل أركانه وينتشر معها البغي والظلم والاعتداء على حقوق الناس .

- يكفي هذا يا أستاذ ونتحول إلى الأسئلة .
- هل أعددت البحث يا عبير ؟

قالت : نعم يا أستاذ .

- سأمهد أنا لك بمقدمة وأنت تكملين .
- لا .. يا أستاذ أنا أقرأ البحث وحضرتك تجيب عن الأسئلة .
- اتفقنا .

حقائق عن تعدُّد الزوجات ؟

– قبل الاستفاضة في بيان الحكمة من تعدد الزوجات نقرر هذه الحقائق :

١– الإسلام لم ينشأ التعدد ، فقد جاء الإسلام والتعدد موجود فقيَّده ووضع له الضوابط والشروط .

٢– الإسلام يجيز للرجل الزواج من امرأة ثانية ، ولكنه يفرض عليه المحافظة على زوجته الأولى وعدم الإضرار بها .

٣– الإسلام يشترط لإباحة التعدد القدرة عليه بدنيّاً وماليّاَ .

٤– الإسلام يشترط لإباحة التعدد العدل بين الزوجات .

يقول تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] فإذا آنس الرجل من نفسه القدرة البدنية والمالية والقدرة على العدل أبيح له الزواج والتعدد .

قالت سارة : ولكن في هذا إيذاء نفسي وضرر للزوجة الأولى .

– أجيبي يا عبير .

– أجب حضرتك .. لقد اتفقنا .

– مما لا شك فيه أن الزواج بأخرى ربما سبب بعض الإيذاء النفسي ، والتوتر العصبي وغير ذلك بالنسبة للزوجة الأولى ، لذا وجب على الزوج أن يتلطف بزوجته ، ويقنعها بالأمر ، وأن يبذل لها ما يجبر خاطرها ، لأن هذا من العشرة بالمعروف ، وإن ترك التعدد حفاظاً على مشاعرها ، فيؤجر على ذلك .

كما أن الزوج ينبغي له أن يوازن بين المصالح والمفاسد من هذا الزواج فيفعل الأصلح ، وهذا يختلف باختلاف الناس.

قال الأستاذ نبيل ذلك ثم قال : أكملي يا عبير وحدثينا عن الحكمة من إباحة الإسلام التعدد .

لماذا أباح الإسلام تعدُّد الزوجات ؟

١- إن الإسلام حرم الزنا، وشدَّد في تحريمه؛ لما فيه من المفاسد العظيمة التي تفوق الحصر والعد، والإسلام حين حرَّم الزنا وشدَّد في تحريمه فتح باباً مشروعاً يجد فيه الإنسان الراحة، والسكن، والطمأنينة ألا وهو الزواج، حيث شرع الزواج، وأباح التعدد لدواعي تحتمه وشروط تضبطه .

٢- إن عدد النساء يفوق عدد الرجال ، ويتجلَّى ذلك في أيام الحروب؛ فَقَصْر الزواج على واحدة يؤدي إلى بقاء عدد كبير من النساء دون زواج، وذلك يسبب لهن الحرج، والضيق، والتشتت، وربما أدَّى بهن إلى بيع العِرض، وانتشار الزنا، وضياع النسل.

٤- إن هناك ملايين من الرجال غير قادرين على الزواج بسبب الباطلة أو العجز أو المرض ، بالإضافة إلى الشواذ الذين يُعدُّون بعشرات الملايين في أمريكا وأوربا. ناهيك عن عزوف كثير من الشباب عن الزواج وذلك لأنهم وجدوا حاجتهم في الخليلات ومشاهدة الأفلام الإباحية والتردد على بيوت الدعارة فمبدؤهم " لماذا اشتري بقرة ما دام اللبن في السوق ؟! " .

٣- إن نظرة الإسلام عادلة متوازنة: فالإسلام ينظر إلى النساء جميعهن بعدل، والنظرة العادلة تقول بأنه لا بد من النظر إلى جميع النساء بعين العدل وليس للمتزوجات فقط .

إذا كان الأمر كذلك؛ فما ذنب العوانس اللاتي لا أزواج لهن؟ ولماذا لا يُنظر بعين العطف والشفقة إلى من مات زوجها وهي في مقتبل عمرها؟ ولماذا لا ينظر إلى النساء الكثيرات اللواتي قعدن بدون زواج؟.

٤- أيهما أفضل للمرأة : أن تنعم في ظل زوج معه زوجة أخرى، فتطمئن نفسها، ويهدأ بالها، وتجد من يرعاها، وترزق بسببه الأولاد، أو أن تقعد بلا زواج البتة؟.

٥- أيهما أفضل للمجتمعات: أن يعدد بعض الرجال فيسلم المجتمع من تبعات العنوسة؟ أو ألا يعدد أحد، فتصطلي المجتمعات بنيران الفساد؟.

وأيهما أفضل: أن يكون للرجل زوجتان ؟ أو أن يكون له زوجة واحدة وعشر عشيقات، أو أكثر أو أقل؟.

٦- أن التعدد ليس واجباً: فكثير من الأزواج المسلمين لا يعددون ما دامت زوجة واحدة تكفيه، أو أنه غير قادر على العدل أو النفقة فلا حاجة له في التعدد.

٧- إن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل: وذلك من حيث استعدادها للمعاشرة؛ فهي غير مستعدة للمعاشرة في كل وقت، ففي الدورة الشهرية مانع قد يصل إلى عشرة أيام، أو أسبوعين كل شهر ، وفي النفاس مانع-أيضاً-والغالب فيه أنه أربعون يوماً، والمعاشرة في هاتين الفترتين محظورة شرعاً، لما فيها من الأضرار التي لا تخفى. وفي حال الحمل قد يضعف استعداد المرأة في معاشرة الزوج، وهكذا. أما الرجل فاستعداده واحد طيلة الشهر، والعام؛ فبعض الرجال إذا منع من التعدد قد يؤول به الأمر إلى سلوك غير مشروع.

٨- قد تكون الزوجة عقيماً لا تلد: فيُحْرَمُ الزوج من نعمة الولد، فبدلاً من تطليقها يبقي عليها ويتزوج بأخرى وَلُود.

٩- قد تمرض الزوجة مرضاً مزمناً: كالشلل وغيره، فلا تستطيع القيام على خدمة الزوج؛ فبدلاً من تطليقها يبقي عليها، ويتزوج بأخرى.

١٠- قد يكون سلوك الزوجة سيئاً: فتكون شرسة، سيئة الخلق لا ترعى حق زوجها ؛ فبدلاً من تطليقها يبقي الزوج عليها، ويتزوج بأخرى؛ وفاء للزوجة، وحفظاً لحق أهلها، وحرصاً على مصلحة الأولاد من الضياع إن كان له أولاد منها.

١١- التماس الأجر: فقد يتزوج الإنسان بامرأة مسكينة لا عائل لها، ولا راع، فيتزوجها بنيَّة إعفافها، ورعايتها، فينال الأجر من الله بذلك.

وهكذا يتبين حكمة الإسلام، وشمول نظرته في إباحة التعدد،

فإن التعدد مباح في الأصل لمن أنس من نفسه العدل ولم يخف من الجور ، وأما من خشي عدم العدل فعليه بواحدة كما قال تعالى ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]

إن الصبر قد يكون على وقوع المكروه ، وقد يكون على فوات المرغوب والمحبوب، ويُؤجر العبد على الصبر بنوعيه إذا احتسب الأجر عند الله عز وجل، ويدخل ترك الزواج بأخرى محافظة على مشاعر الزوجة أو خوفاً مما قد يسببه الزواج من مشاكل معها في الصبر على فوات المرغوب، الذي يؤجر عليه الإنسان بشرط أن يحتسب أجر ذلك عند الله عز وجل .

عند بعثة النبي كان العالم في حاجة إلى زيادة عدد السكان لتعمير الأرض ولتعويض ضحايا الحروب المشتعلة في كل مكان ، وكان التعدد موجوداً بغير ضابط ولا تنظيم فجاء الإسلام فجعل لزيادة عدد أفراد الأمّة الإسلاميّة المكلفة بالإيمان بالله الواحد الأحد ، والدعوة إليه ، وإصلاح الكون وتعميره ، ونشر الخير والحق ، ورفع الظلم عن الأمم المستضعفة ... لذا دعا لزيادة النسل وأجاز تعدد الزوجات وفق ضوابط وشروط تضمن عدم خروجه عن الحكمة التي شرع من أجلها .

إن الرغبة الجنسية عند الرجال أقوى منها عند النساء ، والقدرة على الإنجاب عند الرجال لا تتوقف عند سن معينة والنساء العاطفة عندهن أقوى من الرجال ، وبعد سن الخامسة والأربعين تتأثر كثيراً وتنخفض ، غالباً ، حاجتهن للجماع بسبب قرب سن اليأس وما يحدث لهن من خلل هرموني .

فكيف يفرغ الرّجال طاقتهم الجنسية ، وزيادة نسلهم ، وقد توقفت زوجاتهم عن الرغبة الجنسية والقدرة على الإنجاب بما هو محلّل ؟

كذلك فإن بعض الزّوجات قد ابتلاهن الله بالعقم أو المرض، أو عدم قدرتهنّ على إشباع حاجات الزّوج الجنسيّة .

كما أن هناك أرامل ومطلّقات وضّعيفات يحتجن إلى من يعيلهنّ ويأويهن ويلبي حوائجهن الجنسية والنفسية والمادية.

بديل تعدد الزوجات

والعجيب أن الدول الغربية التي تشنِّع على الإسلام بسبب تعدد الزوجات أحوج من البلاد الإسلامية إلى التعدد بسبب ملايين النساء اللاتي يعشن بلا أزواج .

والحل لكل هذه المشاكل هو تعدد الزوجات ، لا تعدد الخليلات كما اختارت الشعوب التي لا تؤيد التعدد .

إن العلاقات المحرمة تزيد ، وكذلك ظاهرة الزواج العرفي في ظل وجود ملايين من النساء بلا زواج .. وأكدت الباحثتان غادة محمد إبراهيم و داليا كمال عزام في دراستهما تراجع حالات الزواج بين الشباب بنسبة ٩٠ % بسبب الغلاء والبطالة وأزمة المساكن .

وتقول إحصائية رسمية أمريكية : إنه يولد سنوياً في مدينة نيويورك طفل غير شرعي من كل ستة أطفال يولدون هناك ، ولا شك أن العدد على مستوى الولايات المتحدة يبلغ الملايين من مواليد السفاح سنوياً .

ولقد اختلَّ التوازن العددي بين الرجال والنساء بصورة مفزعة بسبب الحرب الضارية التي شهدتها الأمة العربية مثل حرب الخليج الأولى (العراق وإيران) وحرب الخليج الثانية (حرب تحرير الكويت) والحروب الأهلية بعد الربيع العربي (في سوريا وليبيا واليمن والعراق ...) بالإضافة إلى فلسطين .

فماذا تفعل الفتيات المسلمات اللائي لا يجدن أزواجاً من المسلمين ؟

مما يعود بالضرر عليها وعلى المجتمع :

أما الضرر الذي سيلحقها فهو أنها لن تجد لها زوجاً يقوم على مصالحها ، ويوفر لها المسكن والمعاش ، ويحصنها من الشهوات المحرمة ، وترزق منه بأولاد تقرُّ بهم عينها ، مما قد يؤدي بها إلى الانحراف والضياع إلا من رحم ربك .

وإذا كانت النساء غير المتزوجات في الدول التي لا تبيح التعدد يمكن أن يشبعن رغباتهن الجنسية عن طريق الزنا والبغاء فإن ذلك لا يشبع مشاعر العاطفة لديهن ولا غريزة الأمومة .

إن حرمان المرأة من العواطف والأمومة أشد خطورة من حرمانها الجنسي .. فمتعة الإشباع الجنسي بدون عواطف ليس لها أي تأثير لدى المرأة .. بينما الكلمة الرقيقة واللمسة الحانية تأثيرها أكثر بكثير ، وتجعلها تنعم بالإشباع الجنسي .. هذا ما يؤكده الدكتور سعيد عبد العظيم – أستاذ الأمراض النفسية والعصبية بطب القاهرة – ويضيف أن الحرمان العاطفي عند المرأة هو الطريق السريع إلى الانحراف أو البرود الجنسي ، بالإضافة إلى العديد من الأمراض الجسدية والنفسية وغيرها ..

يقول الدكتور محمد هلال الرفاعي أخصائي أمراض النساء والتوليد :

عدم الزواج أو تأخيره يعرض المرأة لأمراض الثدي أكثر من المتزوجة ، وكذلك سرطان الرحم والأورام الليفية .. وقد سألت كثيراً من المترددات على العيادة : هل تفضلين عدم الزواج أم الاشتراك مع أخرى في زوج واحد ؟

كانت إجابة الأغلبية الساحقة هي تفضيل الزواج من رجل متزوج بأخرى على العنوسة الكئيبة ، بل إن بعضهن فضلن أن تكون حتى زوجة ثالثة أو رابعة على البقاء في أسر العنوسة .

وإذا كان هذا هو رأى العلم ، فإن المرأة الطبيبة تكون أقدر على وصف الحال بأصدق مقال .. تقول طبيبة في رسالة بعثت بها إلى الكاتب الكبير أحمد بهجت " إنها قرأت إحصائية تقول : إن هناك ما يقرب من عشرة ملايين سيدة وآنسة بمصر يعشن بمفردهن .. وهن إما مطلقات أو أرامل لم ينجبن أو أنجبن ، ثم كبر الأبناء وتزوجوا أو هاجروا ، أو فتيات لم يتزوجن مطلقاً ..

وتقول الطبيبة : هل يستطيع أحد أن يتخيل حجم المأساة التي يواجهها عالم (النساء الوحيدات) ؟ إن نساء هذا العالم لا يستطعن إقامة علاقات متوازنة مع

الآخرين ، بل يعشن في حالة من التوتر والقلق والرغبة في الانزواء بعيداً عن مصادر العيون و الألسنة والاتهامات المسبقة بمحاولات خطف الأزواج من الصديقات أو القريبات أو الجارات .. وهذا كله يقود إلى مرض الاكتئاب ، ورفض الحياة ، وعدم القدرة على التكيف مع نسيج المجتمع .

وتدق الطبيبة ناقوس الخطر محذرة مما يواجه هؤلاء النسوة من أمراض نفسية وعضوية مثل الصداع النصفي وارتفاع ضغط الدم والتهابات المفاصل وقرحة المعدة والاثنى عشر والقولون العصبي واضطرابات الدورة الشهرية وسقوط الشعر والانحراف الخلقي .. ويضطر الكثير منهن للارتباط برجل متزوج .

والأخذ بنظام تعدد الزوجات جنَّب المجتمعات الإسلامية شروراً ومصائب لا حصر لها .. وتكفى مقارنة بسيطة بين المجتمعات العربية مثلاً – التي تندر فيه الجرائم الخلقية مثل الاغتصاب والدعارة وبين المجتمع الأمريكي الذي تكاد نسبة العشيقات فيه تزيد على نسبة الزوجات .. كما تبلغ نسبة الأطفال غير الشرعيين فيه أكثر من ٤٥ % من نسبة المواليد سنويّاً !! وتقول الإحصاءات الرسمية الأمريكية إن عدد الأطفال غير الشرعيين كان ٨٨ ألف مولود سنة ١٩٣٨ ، ثم ارتفع إلى ٢٠٢ ألف عام ١٩٥٧ ، ووصل إلى ربع مليون مولود من الزنا عام ١٩٥٨ .. ثم قفز الرقم إلى الملايين من ثمرات الزنا في التسعينيات !! والأرقام الحقيقية تكون عادة أضعاف الأرقام الرسمية التي تذكرها الحكومات .

شكراً لك يا عبير بحث جيد جداً أنا أعرف من أين أتيت به لكن قولي لزميلاتك مرجعك .

– موقع ملتقى أهل الحديث ، وبحث بعنوان " زوجات لا عشيقات " ، ومساعدة حضرتك .

قالت سارة : ولكن أنا ما زلت عند رأيي التعدد ظلم للزوجة الأولى .

هذا الموضوع الحصة القادمة إن شاء الله الحصة قبل الأخيرة في نصف الدراسة الأول .

***